حِوارٌ في رِحَابِ رَمَضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخنا بارك الله فيكم، ووفّقكم لكل خير..

كلّ عامٍ وأنتم بخير، وتقبّلَ اللهُ منّا ومنكم صالحَ الأعمال، هذه بعض الأسئلة، نرجو التكرّم بالإجابة عليها، لعلّ اللهَ أنْ ينفع بها المُسْلمين والمُسْلمات.

السؤال الأول: كيف يُمكن للمُسلم أنْ يَعيشَ هذه الأيام المُبَاركة مِنْ هذا الشّهر، ويستغلّها الاسْتغلال الأمْثل في طاعة المَولى عزّ وجل؟

الجواب:

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على رسُول الله، وآله وصحبه، ومَنْ اهْتدى بهُداه.

وبعد:

فنحمدُ الله تعالى أنْ بلّغنا هذا الشّهر المُبارك، ونُبارك للمُسْلمين والمسلمات به، في بلادنا وبلاد المسلمين أجْمعين، ونسألُ الله الإعانةَ فيه على الصّيام والقيام، والذّكر القرآن، والدّعاء والدّعوة.

فأولاً: في اسْتقبال هذا الشّهر: نذكّر أنفُسَنا بالإخْلاص لله عزّ وجل في الصّيام، فالإخْلاصُ لله تعالى هو رُوحُ الطّاعات، ومفتاح لقَبول الأعْمال الصّالحات، وسببٌ لمعونَة وتوفيق ربّ البريّات، وعلى قَدْر النيّة والإخْلاص والصّدْق مع الله، وإرادة الخير ومَحبّته؛ تكون معونة الله لعَبْده المُؤمن.

كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وعلى قَدْر نيّة العبدِ وهمّته، ومُرادِه ورغبته في ذلك؛ يكونُ تَوفيقه سُبْحانه وتعالى وإعانته ...".

وقد أمَرَنا اللهُ جلّ جلاله بإخْلاصِ العَمل له وحْدَه، دُون مَنْ سِواه، فقال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) الآية، البينة: 5.

وقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) الزمر: 2. أي: أَخْلِصْ لله تعالى جميعَ دينك، مِنَ الشّرائع الظّاهرة والشّرائع الباطنة، بأنْ تُفْرِد الله وحْده بها، وتقصد به وجْهه، لا غير ذلك مِنَ المقاصد.

فإذا عَلِم الصّائم أنّ الإخلاص في الصّيام، هو سببٌ لمَعُونة الله وتَوفيقه، حَرص عليه أشدّ الحِرْص، وتحفّز له أكثر.

ثانيا- لاغْتنام هذا الشّهر المُبَارك؛ والحثّ على ذلك؛ كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُبشّر أصْحابه بمَقْدَمه، وهي خَصْلةٌ أخْرى تَدعُوك للتّحمّس لاسْتغلالِ رمضان في طاعة الرّحمن، فالرسُول صلى الله عليه وسلم كان يُبشّر أصْحابه، فيقول: "جاءَكم شَهرُ رمَضان، شهرٌ مُبْارك، كتَبَ اللهُ عليكم صِيامه ..." الحديث رواه أحمد.

وهذا يدلُّ على استحباب التَّحْفيز للنّاس لاسْتغلال وقتِ رمضان في الطّاعة والعبادة، لذا بشّر به الرسُول صلى الله عليه وسلم الصّحابة الكرام، وذكّرهُمْ به ليَسْتعدوا لاغْتنامه.

ثالثا- اسْتذكارُ الثّوابِ العَظيم، الذي أعدّه الله تعالى للصّائمين، ومنْه:

أ- أنّ أجرَ الصّائم عظيمٌ، لا يَعْلمه إلا اللهُ عزّ وجل، كما قال سُبحانه في الحديث القُدسي: "كلُّ عملِ ابن آدم له إلا الصّوم، فإنّه لي، وأنا أجْزِي به". متفق عليه.

ب- مَنْ صامَ يوماً في سَبيل الله؛ يُباعد اللهُ عنه النارَ سبعين خريفاً، فكيفَ بمن صَام الشَّهرَ كاملاً.

ج- الصّيامُ يشفعُ للعبدِ يومَ القيامة، حتّى يُدخله الجنّة، كما في الحديث.

د- في الجنّة بابٌ يُقال له: الرّيان، لا يَدخله إلا الصّائمون.

هـ- صيامُ رمَضان يَغْفرُ جميع ما تقدَّمَ مِنَ الذُّنُوب.

و- في رمَضان تُفتح أبوابُ الجنّة، وتُغْلق أبوابُ النّيران، وتُصفّد الشيطان.

ز- يُسْتجابُ دُعاء الصّائم في رمَضان.

وغيرها مِنَ الفضائل العظيمة.

فمَنْ أدرك هذا الثّوابَ العَظيم، الذي أعدّه الله للصّائمين، شَمّر عن سَاعد الجِدّ، وعَمِل بهمةٍ ونشاط، ليكونَ أحد الفائزين بتلك الجوائز العَظيمةَ.

ثمّ لا بدّ مِنْ معرفة هَدي الرّسُول صلى الله عليه وسلم في شَهْر رمضان، وهو الإكثار مِنْ أنْواع العبادات، فكان صلى الله عليه وسلم يَخصّ رمضان مِنَ العبادة؛ ما لا يخصُّ غيره من الشُّهور، مِنْ صلاةٍ، وذكرٍ وقُرآن، ودُعاء وصَدقة، فلنا في رسُول الله قُدوةٌ وأسْوة، والله تعالى يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب: 21. فلنُكثر مِنْ أنواع الطّاعات في هذا الشّهر.

السؤال الثاني: على أيّ حالٍ تكون النّفسُ المؤمنة في اسْتقبال شهر رمضان، وفي وداعه؟

الجواب:

المُؤْمنُ يَفْرَحُ بِمواسِم طَاعَةِ اللهِ تعالى، وأَدَاءِ الفَرَائِضِ والنَّوافِل؛ لِعِلْمه أَنَّها سَبَبُ نَجَاته في الْآخِرَةِ، وفَوْزِه بِالدَّرَجَاتِ العُلَى في الْجَنَّة، ويفْرَحُ بِمُضاعَفَةِ الْأُجُورِ، وإِقْبَالِ القُلُوبِ علَى اللهِ تعالى؛ ولِهذا فَرِحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسلَّم بِرَمَضَانَ، وبَشَّرَ أَصْحَابَهُ رضي اللهُ عَنْهم بِه؛ فقال: "أتاكمْ رَمَضان، شهرٌ مبارك..". كما سبق.

وذَكَرَ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم وهو يُبَشِّرُ برمضانَ: فَرِيضَةَ الصِّيَامِ؛ وهذا يَقْتَضِي الفَرَحَ بِها؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ فَرَائِضَهُ، كما قالَ سُبحانه في الْحدِيثِ القُدْسِيِّ: "ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ؛ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَليه". رواه البُخَارِي.

والمُؤْمِنُ يُحِبُّ اللهَ تعالَى ويُحِبُّ ما يُحِبُّه سُبْحانه.

وقد أَمَرَ اللهُ تعالى بِالفَرَحِ بِدِينه، وأسْباب رحمته، فقال: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) يونس: 58.

لكنَّ الواقع أنّ أَكْثَرَ النَّاسِ إنّما يَفرحُونَ بِما له تَعَلُّقٌ بِالدُّنْيا، ولَا يَفْرَحُونَ بِما يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَة، كما قال سبحانه: (وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) الرعد: 26.

فمواسمُ الخَير فُرْصة يَفْتحها اللهُ تعالى بفَضْله لعِباده، وهي ميدانُ سِباقٍ يستبق فيه الناس إلى رحمة الله تعالى، وإلى فَضْله وإحْسَانه، وإلى عَظيمِ ثوابِه، وجَزِيل عَطائه جل وعلا، والفائزُ في هذا المِضْمار هو المُسْتكثر مِنَ الصّالحات، السّابق إلى الخيرات، في هذا الشّهر المبارك، شهر الصّيام والقيام، شهر الطّاعة والبرّ والإحْسان، الشهر الذي اصْطَفاه الله تعالى فخَصّه بجُمْلةٍ مِنَ الخَصائص الكونيّة والشّرعيّة.

فإذن: منَّةٌ الله تعالى على العبد بإدْراك هذا المَوسم، مِنّة جليلة، يَنبغي أنْ تُذكر وتُشكر، ثمّ رمضان حجَّة لك أو عليك، إمَّا أنْ تَخرجَ فيه بربحٍ عظيمٍ، وفوزٍ وسَبْق، وإمّا أنْ يَخْرج الإنْسانُ منه خاسراً عياذاً بالله تعالى.

ولهذا جاء في الحديث الصّحيح: أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: "...ورَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ". رواه الترمذي.

السؤال الثالث: ما هي نَصيحتكم لمَنْ تحوّل شَهر رمضان معهم إلى شَهر أكلٍ وشُرب في الليل، ونومٍ وكسَل في النّهار؟

الجواب:

يختلفُ الذين يَسْتقبلون شهرَ رمضان، فهم طُرقٌ مُخْتلفة ومتنوّعة؛ فمنْهم مَنْ يستقبله بالسّهر واللّهو واللّعب، ومنْهم مَنْ يستقبله بالتوسّع في الأكل والشّرب، ومنْهم مَنْ يستقبله بالنّوم، ومنْهم من يستقبله بمشاهدة البرامج والمُسْلسلات، إلى غير ذلك من أنواع الاستقبال؛ وذلك للأسَف هو استقبالُ المُفرّطين المَحْرومين، الذين لمْ يُدركوا حقيقة هذا الشهر، وفضائل ومنافع أيامه، وفوائد لياليه، وعظمة شعيرته وفريضته.

فمِنْ مقاصد الصّيام: تقليلُ الأكلِ والشرب، ودفع مضارّهما على البَدن والقلب والرّوح، فلا يُعكس هذا.

والمُؤمن العاقل السبَّاق لعمل الصّالحات، يُدْرك تمام الإدْراك بأنّ رمضانَ فُرصة لا تُعوّض، فيَسْتقبله بالمُسَارعة إلى عمل الخيرات، وتجنُّب المُنْكرات، مُتمثِّلا قولَ اللهِ تبارك وتعالى: (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران: 133.

فوقت الصّيام وقتٌ شريف، لا يضيّع بالغفلة عنه.

السؤال الربع: ماذا تقولون للذين يتبرّمون من الجُوع والعطش في نهارِ رمضان، وخُصوصاً إذا كانوا من أصْحاب الأعْمال الشاقة؟

الجواب:

الصّومُ كما مرّ معنا رُكنٌ مِنْ أرْكان الإسْلام الخَمْسة، فلا يجوزُ للمُسْلم أنْ يتَهاون فيه لمُجرّد العَطَش أو الجُوع أو التّعب، أو لمُجرّد خَوْفه أنه لنْ يستطيع الصّيام، بل عليه أنْ ينْوي ويصوم ويَصبر، ويَسْتعين بالله عزّ وجل، ولا بأسَ أنْ يأخذَ بالأمُور التي تخفّف عنه العَطش والحرّ، كالبعدِ عن الحرّ والشّمس، أو أنْ يشغّل التّكييف، أو أنْ يَصبَّ على رأسِه الماء للتّبرّد، أو أنْ يَتمَضمَض ونحو ذلك.

فالواجب عليه أولاً أنْ يَبدأ يومه صَائماً، فإذا قُدّر أنّه تَعِب ولمْ يستطع إكمال يومه، وخافَ على نفسِه الهَلاك أو المرض؛ جازَ له الفِطر حينئذ؛ وعليه القَضاء لاحِقاً، ولا يُفْطر بمُجرّد الخَوْف مِنَ العَطش أو الوَهم، بل لا يُفطر إلا بعد أنْ تلحقه المَشقّة.

قال الموفق ابنُ قدامة: "والصّحيح: إذا خافَ على نفسِه مِنْ شدّة العَطَش أو جوعٍ، أو نحو ذلك: فله الفِطر".

وقد بيّن العُلماء حُكم أصْحابِ الأعمَال الشّاقَّة، وأنّ الأصْل هو وجُوب الصَّوم عليهم، فإنْ اسْتطاعُوا أنْ يَجعلُوا عملهم بالليل فَعلوا، وإلا فليَبْحثوا عنْ عملٍ لا يَشقّ عليهم الصّومُ معه، فإنْ لم يكنْ لهم بُدٌّ منْ هذا العَمل، لقوتهم وقوت أسرهم وأولادهم؛ فالواجبُ عليهم أنْ يُبيّتوا نيّة الصوم، فلا يُفطروا إلا إذا تضرّروا بالصّوم فلهم أنْ يُفْطروا مِنَ الأيام، بقَدْر ما يَدفعون به الضّرر عن أنْفسِهم، ثمّ عليهم قضاء ما يُفْطرونه مِنَ الأيام؛ عند قُدرتهم على ذلك.

السؤال الخامس: كيفَ يُمكن أنْ توفّقَ المرأة بين تعبّدها لربّها في شهر الصّيام، وواجبها تجاه بيتها؟

الجواب:

أولاً: لا تظنّ المَرأة المُسلمة أنّها لا تُؤْجَر على خِدمة الزّوج والعِيال في رمضان، بل هي مأجورةٌ بلا شكّ، ونُذكّرها بضَرورة أنْ يَحْتسب الإنْسَان كلّ حَركاته وأعماله، وأنْ يقصِد بكلّ شيءٍ وجْه الله، لقول النّبي صلى الله عليه وسلم: "إنّما الأعْمالُ بالنّيّات، وإنّما لكلّ امْرىءٍ ما نَوى". متفق عليه.

ولقد كان مِنْ فِقْه السّلف رحمهم الله أنّهم يَسْتحضرون النيّة عند كلّ قولٍ وعَمل، وربّما اسْتَحضرُوا عدداً مِنَ النيّات الصّالحات، فالمَرأةُ المُسْلمة تَنْوي بعَملها خِدمة الزّوج، وإطْعَام العيال، والرّحمة بهم، والإحْسَان إليهم، وتجهيز إفطار الصّائم لهم، ومعاونة المُحتاجين من الفقراء بما زادَ مِنَ الطعام عندها، وكفّ النَّفس والأهل عن النَّظر إلى ما في أيدي الناس.

واعلمي أيّتها المُسْلمة: أنّك بخدمتكِ في بيتكِ على أجرٍ عَظيم، فهو ممّا يَشْمله قولُ النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ذهَبَ المُفْطرُون اليومَ بالأجْر". كما في الصحيحين.

وذلك لأنّهم قاموا على خدمة أصْحابهم، فكيف بكِ وقد قمتِ بالخدمة في الحرّ والتّعب، وبذل الجُهد وأنتِ صائمة، فلعلّ أجرك أعْظم وأولى، ولكن لا بدّ أنْ تحتسبي ذلك.

ثمّ لنذكر أيضاً: بأنّ أبْوابَ الخَير واسعة، وليت كلّ امرأة تعمل في مَطبخها وبيتها؛ تشغل لسانها بالتَّسْبيح والتّحميد والتكبير والتهليل، والإكثار مِنَ الصّلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وما المانع مِنَ الاسْتماع إلى المُحاضرات المُفيدة أثناء الانشغال في المَطبخ؟ فأبواب الخَير كثيرة واسعة، وما علينا إلا الاجتهاد والحِرص على الخير.

ثمَّ لا شكّ أنّ عليها الابتعاد عن الإسْراف في إعْداد المَوائد والأطعمة، الذي يَستهلك وقتاً وجُهداً كبيراً منْها، فهو ممّا يُنافي حِكمة هذا الشّهر العظيم، الذي ينبغي أنْ تمتنع فيه النُّفوسُ عن شهواتها وتقلّلها.

كما أنّه يخالفُ الحِرص على الاستفادة مِنْ أوقاتها وجهدها.

السؤال السادس: ما هي نَصِيحتكم للمَرأة الدَّاعية في رَمضان؟

الجواب:

فالواجبُ على مَنْ لديها علمٌ وفقه منَ النّساء؛ أنْ تقومَ بالواجبِ عليها نحو الدَّعوة والتوجيه إلى الخَير بين أخواتها، حسبَ طاقتها في كلّ الأوقات، لقول الله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل: 125.

وقوله: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) يوسف: 108.

وقوله سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فصلت: 33.

وفي هذا الشَّهر المُبارك، الذي يُقبلُ فيه الناسُ على الطَّاعة والعِبادة، والتَّوبة والإنابة، تزيدُ حاجة النّاس للعِلم والإرْشاد، والدَّعوة والتوجيه، والسؤال عن الأحكام الشرعيّة، فإذا وُجدت المرأة الصّالحة للقيام بالدعوة إلى الله سبحانه، وتعليم النّساء، فينبغي أنْ تُعان على ذلك، ويفْسح لها المجال، وأنْ يطلبَ منْها الاسْتمرار على هذا الطّريق، فتقوم بإرشاد بناتِ جِنْسها؛ لأنّ النّساءَ في حاجةٍ ماسّة إلى داعياتٍ ومُعلّمات مِنْ بنات جنْسهنّ، ووجُود المرأة بين النساء، قد يكونُ أنفع في تبليغ الدعوة إلى الحقّ والخير مِنَ الرجال، فقد تَسْتحي المرأة منَ الرجل عند السؤال، فلا تبدي له كلّ ما يهمّها، وقد يمنعها مانعٌ مِنْ سماع الدعوة مِنَ الرجال في المساجد، فتظلُّ على جهلٍ بدينها، لكنّها مع المَرأة الدّاعية خلاف ذلك، لأنّها تُخالطها وتتّصل بها، وتعرض ما عندها وتتأثّر بها أكثر.

فيا أيتها المَرْأة المُسْلمة، اسْتَعيني بالله جاهدةً مُجاهدة، في نشر الخَير والعلم، في صُفُوف النّساء بما تستطيعين.

السؤال السابع: الدَّعوة إلى الله لها فَضْلٌ عظيم، فهل يكونُ فَضْلها في شَهر رمَضان أعْظم؟

الجواب:

شهرُ رمضانَ هو شهرُ العبادات الكثيرة والمُتنوّعة، والدَّعوة إلى الله تعالى وإلى التمسّك بدينه وبكتابه وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ عبادةٌ مِنْ أعْظم العِبادات.

وشهرُ رمَضانَ فُرصةٌ عظيمة للدّعوة إلى الله تعالى، فالقُلوبُ فيه تَرقّ، والنُّفوس فيه تَهْفو إلى فِعلِ الخير، والأعْمال الصالحة، وتُجيبُ داعي الله؛ فلا بدّ مِنْ اسْتِشعار المَسْؤولية، واسْتفراغ الوُسْع في سَبيل الدَّعوة بكلّ طاقتك وجُهْدك، لأجلِ الإبلاغ والأعْذار، ورفع التّبِعات عن النَّفس.

وفضائلُ الدَّعوة وثمراتها التي تعودُ على الأفْراد بخاصّة، وعلى الأمّة بعامّة؛ لا تكادُ تُحْصى، وأدلةُ الوَحْيينِ مليئةٌ بذلك، مُتضافرةٌ عليه.

فالدّعوةُ إلى الله تعالى أولاً: طاعة لله، وإرْضاءٌ له، وسلامةٌ مِنْ وعيده؛ بتركِ الأمْر بالمعروف، والنّهي عن المُنكر، الذي أَمَر به الأمّة.

والدعوةُ إلى الله إعْزازٌ لدينِ الله تعالى، ورفعٌ لشأنه، واقتداءٌ بأنبيائه ورُسُله، وإغاظةٌ لأعْدائه منْ شياطين الجنِّ والإنْس، وإنقاذٌ لضحايا الجَهْل والضّياع والغَفْلة، والتقليد الأعْمى.

والدَّعوةُ إلى الله تعالى سببٌ في زيادة العِلْم والإيمان في الأفْراد والمُجْتمعات، ونُزُول الرّحمة بهم، ودَفْع البلاء، ورَفْعه عنْهم.

وهي سببٌ أيضاً لمُضَاعفة الأعْمال في الحياة وبعدَ المَمَات، كما قال صلى الله عليه وسلم: " مَن دَعا إلى هُدًى، كانَ له مِنَ الأجْرِ، مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا". رواه مسلم.

وسببٌ للاجْتِماع والألفة، والتَّمْكين في الأرض.

والدَّعوةُ إلى الله هي أحْسنُ القَولِ وأجْمله، فلا شيءَ أحْسنُ مِنَ الدّعوة إلى الله تعالى، كما قال سبحانه: (ومَنْ أحسنُ قولاً ممَّنْ دَعَا إلى الله وعملَ صَالحاً وقال إنَّني مِنَ المُسْلمين) فصلت: 33.

وهدايةُ رجلٍ واحدٍ؛ خيرٌ مِنَ الدّنيا وما عليها، والدُّعاةُ إلى الله هُم أرْحمُ الناسِ بالناس، وأزكاهم نفُوساً، وأطْهَرُهم قُلُوباً، وهمْ أصحابُ المَيمنة، وهمْ ورثة الأنبياء.

وهناك صِفاتٌ يَحْسن بالدّاعي إلى الله أنْ يتّصفَ بها، سواء كانتْ دعوته فرديّة أمْ عامّة، فمن ذلك: العلمُ الشرعي، والعملُ بالعِلم، والإخْلاصُ لله، والصّبرُ على

المدعوّين، والحلمُ عنهم، والرحمةُ بهم، وحُسنُ الخُلُقِ معهم والكرمُ، والإيثارُ والتواضعُ، والحِكمةُ والحرصُ على جمع الكلمة على الحق.

وعلى المُسْلمين عُمُوماً التعاون جميعاً في سبيلِ الدّعوة إلى الله، وأنْ يجعلوا مِنْ شَهرنا هذا؛ مَيداناً لاسْتباق الخَيرات، ويتعاونُوا في نُصْح الغافلين، وتَذْكيرِ النّاسين، وتعليم الجاهلين.

السؤال الثامن: هلْ يُمْكن أنْ تُجمل لنا مجموعةً مِنَ الأفكار والمَشَاريع التي يُمكن أنْ يقوم بها المُسْلمون لاغتنام هذا الشّهر؟

الجواب:

هناكَ العديدُ مِنَ الأعْمال الصّالحة المُقْتَرحة في شَهْر رَمضان، فمنْها:

1- إقامةُ إفْطار الصّائم: بالسّعي في تموين المساجد بالتمر وبالماء أو اللبن أو العصير، أو الوجبات الخفيفة، وبالإمكان التعاون مع اللجان الخيريّة في ذلك، بما تجود به نفسك، وبالإمكان توفير جزء من طعام المنزل وتوصيله بنفسك إلى المسجد.

وكذلك تخصيصُ يومٍ أو يومين مِنَ الأسبُوع، تذهبُ بنفسِك ومعك وجبات الإفطار، وتوزيعها على عُمال يشتغلون في مَشروعات إنْشائية، أو عُمال النّظافة، أو لإيّ شَخصٍ تشاهده وقت الأذان عند الإشارات المَرورية وغيرها.

2- العَزْمُ على خَتم القُرآن الكريم في الشّهر الفَضِيل، وعَمل خطّة خاصّة بك لذلك.

3- العَزم على إكْمَال صلاة التراويح والقيام كاملة، واختيار المَسْجد المناسب الذي تخشع لقراءته.

4- تُحاول العُمْرة في رَمَضان، فإنّها تعدلُ حجّة. كما في الحديث الذي رواه مسلم.

5- اجعلْ شهْرَ رمضان المبارك، مَوعداً لإخْراج زكاة المال والذّهب وغيرها.

6- تصدّقْ وشاركْ في الأعمالِ الخَيريّة، التي تبقى لك بعد مَمَاتك، ولو بالمال القليل، مثل المُشَاركة في بناء مسجد، أو بناء دارٍ لتحفيظ القرآن الكريم، أو حفر بئرٍ وغيرها.

7- اعزم على المُداومَة على صَلاة الضّحى، وهي وإنْ كانت ركعتين خَفِيفتين، لكنّهما عَظيمتان لدى الرحمن.

8- اخترْ كتاباً إسلامياً للمُطالعة، في العقيدة أو التفسير أو الفقه أو السيرة وغيرها، واعزم على قراءته بالكامل، والاستفادة منه للتزوّد مِنَ العُلُوم الشّرعيّة النّافعة.

9- اسع في إقامة وجَبات الإفْطار أو السّحور في بيتك، ودَعوة الأرْحام إليها، ابتداءً بوالديك، وإخْوانك وأخَواتك، ثمّ أقاربك، ثم أصْدقاءك.

وغيرها من المشاريع الخيريّة.

9 • كيفَ يُمْكن للمُسْلم أنْ يُحافظ على همّةٍ عاليةٍ ومُسْتمرّة، للعبادة طُوال شَهر رَمَضان، ولا يَتراخى بعد أيامٍ مِنْ مَبدئه؟

الجواب:

المسلمُ مِنْ صِفاته أنّه عالي الهمّة، وعندما يأتي رَمضان تكون همّته أعْلى، والقرآن الكريم يدفعنا في كثير من آياته إلى علو الهمّة، والحثّ عليها، فقد قال تعالى: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) البقرة: 148.

وقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران: 133.

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت: 69.

وقال تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) المطففين: 26.

وقد أخبَرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الله يُحبُّ أصحابَ الهمّة العالية، فقال صلى الله عليه وسلم: **"**إنّ الله عزّ وجل يُحبُّ مَعَالي الأمُور وأشْرافها، ويَكْره سَفْسَافها**"**. رواه الطبراني.

وكان مِنْ دعائه صلى الله عليه وسلم: "اللهمّ إنّي أعُوذُ بك منَ العَجْز والكسل، والجُبن والهَرَم، وأعوذُ بك مِنْ فتنة المَحْيا والمَمَات، وأعوذُ بك من عذاب القبر". متفق عليه.

ومِنْ هذا الدعاء نتعلَّم أنّ المُسلم لا يَسْتسلم للعَجز، ولا يُسلِّم نفسَه للكسل، وإنّما عليه أنْ يتغلّب عليهما؛ فلا يَعْجِز ولا يكسَل، وأنْ يَسْتعيذ بالله منهما.

فعالي الهمّة لا يَرضى بما دون الجنَّة، بل يحرص على الدرجات العُلى فيها.

وهكذا كان أصحابُ النبي رضي الله عنهم، فمثلاً جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أصبَح منكم اليوم صائمًا؟"، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: "فمن تبع منكم اليوم جنازةً؟"، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: "فمَن أطعَم منكم اليوم مسكينًا؟"، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، قال: "فمَن عاد منكم اليوم مريضا؟"، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمَعْنَ في امرئٍ؛ إلا دخل الجنة". رواه مسلم.

فانظر إلى هذه الأعمال العظيمة التي جمعها الصدّيق رضي الله عنه، في يومٍ واحد.

السؤال العاشر: بعض الدُّعاة والخطباء يحثّ الناس بروايات عن السّلف عن كثرة ختم القرآن في رمضان، ومنها: أنّ بعضهم كان يختمه كلّ يوم، فماذا تقولون في ذلك؟

الجواب:

نقول خيرُ الهدي؛ هَدْيُ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقد قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب: 21.

فهذه الآيةُ الكريمة أصلٌ كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وجميع أحواله.

1- وقد ورد في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وأَقْرَأُ الْقُرآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، فقال لِي رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: "أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟" فَقُلْتُ: بَلَى. يا نَبِيَّ اللهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلاَّ الخَيْرَ- ثُمَّ أَخْبَرَهُ عن الصِّيام - ثُمَّ قال رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له: "واقْرَإِ القُرآنَ فِي كُلِّ شَهْر". قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: "فاقْرَأهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ". قَال:

قُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ! إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: "فاقْرَأهُ في كُلِّ عَشْرٍ». قَالَ: قُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ، إنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِك. قَال: "فَاقْرأهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلاَ تَزِدْ علَى ذَلِك". متفق عليه.

وفي رواية أنَّه قال: يا رَسُولَ اللهِ، في كَمْ أَقْرَأُ القُرآنَ؟ قال: "فِي شَهْرٍ"، قال: إنِّي أقْوَى مِنْ ذَلِكَ، وتَنَاقَصَهُ حَتَّى قال: "اقْرَأهُ فِي سَبْعٍ"، قال: إنِّي أقْوَى مِنْ ذَلِكَ، قال: "لاَ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ". رواه أبوداود وصححه الألباني.

وهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّه لا يُختم القرآن في أقلَّ من ثلاثة أيام.

وعلَّل النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم ذلك علَّة النَّهي عن الخَتْم في أقلَّ من ثلاث، بعلَّتين:

الأُولى: عدمُ الفقه. فأقلَّ مُدَّةٍ يُفهَمُ فيها القرآنُ ثلاثةُ أيَّامٍ.

الثَّانية: قولُه لعبدِ الله بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: "فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً". فالرَّجل عليه مسؤوليَّة تجاه زوجته وأسرته، ومنزله وضيفه، وكذلك عليه الرِّفق بنفسه، وخَتْمُ القرآن في أقلَّ من ثلاث، يكون على حساب ذلك غالباً.

2- وأيضاً: هدي النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم في خَتْم القرآن حُجّة في ذلك، وهو قُدوتنا، فإنّه لم يَثْبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنَّه قَرَأ القرآنَ كلَّه في ليلة، ولمْ يقرأه كذلك في أقلَّ مِنْ ثلاث، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "وَلاَ أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم قَرَأَ القُرآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ". رواه مسلم.

3- وعنها رضي الله عنها قالت: "كَانَ صلّى الله عليه وسلّم لا يَقْرَأُ القُرآنَ فِي أقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ". رواه ابن سعد في "الطَّبقات الكبرى" (1/ 376)؛ وأبو الشَّيخ في "أخلاق النبَّيِّ صلّى الله عليه وسلّم" (ص281)؛ وأورده الألباني في "السِّلسلة الصَّحيحة" (5/ 600).

وقال العلامة الألبانيُّ رحمه الله فيه: "خَتْمُ القرآنِ في أقلَّ من ثلاثٍ؛ خِلافُ السُّنَّة". انتهى.

ونحن متعبَّدون باتِّباع سُنَّتِه صلّى الله عليه وسلّم وهديه، المُوصل إلى رضوان الله ومحبَّته، مع ما في نفوسنا من تقديرٍ وإجلال لسلف الأمَّة، لكن لا يتقدّم على كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ولمَّا ذَكَر النَّووي رحمه الله عادات السَّلف في خَتْم القرآن الكريم، وذَكَرَ مَنْ كان يختمه في سَبْعٍ، قال: "وهذا فِعْلُ الأكثرين من السَّلف". الأذكار (ص 153).

ومِثْلُه قال السُّيُوطي رحمه الله: "وهذا أَوسطُ الأمور وأحسنُها، وهو فِعْلُ الأكثر من الصَّحابة وغيرِهم". "الإتقان في علوم القرآن" (ص 259).

* **أمّا فِعْلِ مَنْ خَتَم القرآن في أقلَّ من ثلاث،** كما وردت به بعض الآثار عن بعض السَّلف الصَّالح من الصَّحابة وتابعيهم، في ختمهم في أقلَّ من ثلاثة أيَّام، كعثمان بن عفَّان رضي الله عنه، أنّه قرأ القرآن في ركعة يُوتر بها، ورُوِيَ سعيد بن جُبير رحمه الله أنَّه ختم القرآن في ركعة في جوف الكعبة، وغيرهم من العلماء والصَّالحين. كما ذكر الترمذي في سننه (5/ 9196).

فهذا- وبعضه لم يثبت- يُحمل على ما ذَكَره ابن كثير رحمه الله حيث قال: "فهذا وأمثالُه منَ الصَّحيح عن السَّلف محمولٌ: إمَّا على أنَّه ما بَلَغهم في ذلك حديث ممَّا تقدَّم، أو أنَّهم كانوا يفهمون ويتفكَّرون فيما يقرؤونه مع هذه السُّرعة". "فضائل القرآن" (ص260).

وقال النَّووي رحمه الله: "وقد كَرِه جماعةٌ من المتقدِّمين الخَتْمَ في يومٍ وليلة". "الأذكار" (ص 154).

- ونختم بما جاء في "مختصر منْهاج القاصدين" إذْ يقول: "ومنْهم- يعني السَّلف- مَنْ كان يَختم في ثلاث، ومنهم مَنْ كان يختم في أسْبوع، ومنهم مَنْ كان يختم في كلِّ شهر، اشتغالاً بالتَّدبُّر أو بنشر العلم، أو بتعليمه، أو بنوعٍ من التَّعبُّد غير القراءة، أو بغيره من اكتساب الدُّنيا. وأَوْلى الأمْر: ما لا يمنع الإنسان منْ أشْغاله المُهمَّة، ولا يُؤذيه في بدنه، ولا يفوتُ معه التَّرتيل والفَهْم". "مختصر منهاج القاصدين" للمقدسي (ص 55).

السؤال الحادي عشر: خير الأعْمال وأحبّها إلى الله كما في الحديث أدْومها وإنْ قل، هل هذا المعنى ينطبق على شهر رمضان؟

الجواب:

هذا صحيحٌ، أنّ خير الأعْمال وأحبّها إلى الله أدْومها وإنْ قل، كما في الحديث.

لكن هذا لا يَمْنع من الاجتهاد في مواسم الخير، فهديُ النّبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنّه كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أَحْرَصَ ما يَكونُ على الأجْرِ والثَّوابِ، وكان يُحسِنُ اغْتِنامَ الأوقاتِ الفاضِلةِ، فكان يَجْتَهِدُ في رمضان ما لا يَجْتَهِدُ في غيره، كان يَجْتَهد فيه ما لا يَجْتَهد في غيره من الشهور؛ لأنه شهر مُبارك، فَضَّله الله على سائر الشّهور، وكان يخصّه بعبادات لا تكون في غيره.

فإذا دَخلت العَشْر الأواخر؛ اجتهد فيها أكثر مما كان عليه في أول الشهر؛ لأنّ فيها ليلة القدر، التي هي خَيْرٌ منْ ألف شهر، ولأنّها ختام الشهر المبارك فيختمها بصالح الأعمال، كما تخبر عائشة رضي الله عنها أيضا قالت: كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَجْتَهِدُ في العَشْرِ الأوَاخِرِ، ما لا يَجْتَهِدُ في غيرِهِ. كما في صحيح مسلم.

فعبادته صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، هو أنه كان يَجْتَهد فيه ما لا يَجْتَهد في غيره من الشهور؛ فإذا دَخلت العَشْر الأواخر اجتهد فيها أكثر مما كان عليه في أول الشهر؛ كما في الصَّحيحينِ: "إذَا دَخَلَ العَشْرُ، أحْيَا اللَّيْلَ، وأَيْقَظَ أهْلَهُ، وجَدَّ، وشَدَّ المِئْزَرَ".

ففي هذا الحديثِ تَرْوي أمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِي اللهُ عنها: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم كان إذا جاءَ العَشْرُ الأَواخِرِ مِن رَمضانَ -وتَبدَأُ مِن اللَّيلةِ الحاديةِ والعِشْرينَ إلى نِهايةِ الشَّهرِ- يَجتهِدُ فيها ما لا يَجتهِدُ في غَيْرِها، أي: أكثَرَ ممَّا يُبالِغُ في غيرِهنَّ مِن اللَّيالي؛ وذلك لعِظَمِ وفضْلِ تلك اللَّيالي، وطَلَباً لِلَيلةِ القدْرِ؛ فَيَزِيدُ الطَّاعةَ والعِبادةَ، والتَّقرُّبَ إلى اللهِ سُبحانَهُ، ويَعتكِفُ في مُصلَّاه، ويَعتزِلُ النِّساءَ؛ كما بيَّن الحديث.

السؤال الثاني عشر: بعضُ المُصلّين يَحْرصون في رمضان على قَصْد مَسجدٍ ما، لسببٍ مِنَ الأسباب، كصوتِ قارئ أو ما إلى ذلك، فما نصيحتكم في ذلك؟

الجواب:

لا حرجَ على الإنسان أنْ يذهبَ إلى مسجدٍ آخر غير مسجده القريب، إمّا اسْتحساناً لصوت الإمام، وحُسن أدائه للصلاة والقرآن، أو لزيادة خُشوعه معه، أو للراحة في الصّلاة معه، أو لغرضٍ آخر كلقاء إخوة له، أو دعوة لله سبحانه، مع أداء صلاة التراويح والتهجد، أو لوجود أذى في الصلاة بمسجده.

لكن الأفضل والأولى أنْ يبقى في مسجد حيّه؛ إذا لمْ يوجد هناك سبب؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: **"لِيُصَلِّ أحَدُكم في مَسْجِدِه، ولا يتتبَّعِ المساجِدَ"**. رواه الطبراني وغيره.

لأنّ ذلك يُشجع أهل الحيّ على صلاة الجماعة إذا انضمّ بعضهم إلى بعض، ويدعو لتعرّف بعضُهم على بعض، فإذا ذهبوا إلى مسجد آخر، قلّ المُصلّون، وربما لا يبقى مع الإمام أحد؟**!** كما حدث ذلك في بعض المساجد، وهذا لا ينبغي، بل الذي ينبغي أنْ تعمر المساجد كلها بأهلها، هذا هو الأفضل.

وقد يُخشى مِنْ ذلك إهانَةً لإمامِ المَسجِدِ القريبِ، وإيغار لصدره على المصلين.

السؤال الثالث عشر: ما هو مقدار القُنُوت؟ وهل يشرع التّطويل فيه أمْ لا؟ فبعض الأئمة قد يُطيل في القنوت بشكلٍ لافتٍ للنظر، أو بصورة لا يُراعي فيها المَأمومين وأحوالهم، فهل هذا منْ هَدْي النّبيّ صلى الله عليه وسلم؟

الجواب:

القُنوتُ في صلاة الوتر؛ سنةٌ مُسْتحبة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاءت بعض الأحاديث في بيان صيغة دعاء القنوت، فعن الحسن بن عَلِيٍّ رضِيَ اللَّهُ عنهما قال: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وبارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فإِنَّكَ تَقْضِي وَلا يُقْضَى عَلَيْكَ، وإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، ولا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ".

رواه أبو داود (1425) والترمذي (464) وحسنه، وصححه ابن عبد البر في "الاستذكار" (285/2) والنووي في "الأذكار" (86).

وفي صحيح ابن خزيمة (1100): أن الناس ـ على عهد عمر ـ: "كانوا يلعنون الكفرة في النصف -يعني: من رمضان-: "اللهم قاتلِ الكفرة الذين يَصدّون عن سبيلك، ويُكذّبون رسلك، ولا يُؤمنون بوعدك، وخالفْ بين كلمتهم، وألق في قلوبهم الرُّعب، وألق عليهم رجزك وعذابك، إله الحق". ثمّ يُصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين بما استطاع من خير، ثم يستغفر للمؤمنين قال: وكان يقول إذا فرغ من لعنة الكفرة وصلاته على النبي واسْتغفاره للمؤمنين والمؤمنات ومسألته: "اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ربّنا، ونخاف عذابك الجد، إنّ عذابك لمن عاديت ملحق ثم يكبر ويهوى ساجدا". قال الألباني: "إسناده صحيح".

فإذا تأمّلنا في حديث الحسن بن علي السابق، نجد أنّ الدُّعاء الذي علّمه النبي صلى الله عليه وسلم له؛ دعاءٌ مُختصر ومُوجز، وجامِعٌ مانع، لا يكادُ يستغرق الدقائق المَعْدُودات، ممّا يدلُّ على أن الأَوْلَى في دعاء القنوت هو الاختصار، والاقتصار على جوامع الدعاء، دون غيره.

بل أشار النووي رحمه الله تعالى إلى أنّ الجمع بين دُعاء النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاء عمر رضي الله عنه، في القُنُوت، هو مِنَ التطويل الذي ينبغي مراعاة أحوال الناس فيه، والعلم برضاهم به.

قال النووي: "قال أصحابنا: يستحبّ الجمع بين قنوت عمر رضي الله عنه وبين ما سبق، فإنْ جمع بينهما فالأصحّ تأخير قنوت عمر وفي وجهٍ يُستحب تقديمه، وإنْ اقتصر فليقتصر على الأول، وإنّما يُستحبّ الجمع بينهما إذا كان منفرداً، أو إمام محصورين يرضون بالتّطويل، والله أعلم". "المجموع" (478/3).

فكيف بمَنْ يدعو أضْعاف ذلك أو يزيد؟

وممّا ابتلي به كثيرٌ مِنْ أئمة المساجد، الذين لا همّ لهم إلا التغنّي بالناس لمدّة (20) دقيقة أو نحوها، وقد رأى الناس من ذلك في زماننا عجبا**!!** في ترتيل دعاء القنوت، والمبالغة في تحسين الصوت به، وجعله أكبر همه، واتخاذه وسيلة لصرف وجوه

الناس إليه، أو يخرج به عن حدّ الدعاء إلى الموعظة أو كلام الناس، كما هو حال بعضهم، ممّا ينكره كلٌّ من علم هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

والأحسن في هذا كله اتّباع السّنّة وهدي السّلف وهو الاعتدال، فإنّ خير الأمور الوسط، وقد نهت الأحاديث النبوية أن نشق على الناس في الصلاة، خاصة إذا اعتاد ذلك في كل ليلة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أمَّ أحدُكُم النَّاسَ فليخفِّف، فإنَّ فيهمُ الصَّغيرَ والكبيرَ، والضَّعيفَ والمريضَ، فإذا صلَّى وحدَهُ، فليصلِّ كيفَ شاءَ". متفق عليه.

فالتطويلُ مَدعاةً للنُّفورِ مِنَ الصَّلاةِ في الجماعةِ، وعَدَمِ الرَّغبةِ فيها، أمَّا التخفيفُ ففيه تيسيرٌ وتسهيلٌ على المأمومينَ، فيَخرُجون من الصَّلاةِ وهم لها راغِبون.

السؤال الرابع عشر: بماذا تنصحون مَنْ يَنْشغل بوسائل التّواصل في رمضان، حتى أنّها تَسْتحوذ عليه جلّ وقته؟

الجواب:

في هذا العصر أصبحتْ وسائلُ التواصل الاجتماعي شيئاً أساسياً في حياتنا، ولا ينكر أحدٌ أنّ الجميعَ بلا استثناء يستخدمون هذه الوسائل بين الحين والآخر، وربّما لفترات طويلة، قد تستمرّ لساعات، والجميع مرتبطٌ بمجموعةٍ مِنَ المجموعات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فأصبح الإنسان في هذا الزمن مُنْشغلاً بهذه الأجْهزة الإلكترونية، والبرامج الحديثة، وكيفيّة التّعامل معها، ممّا يَستدعي ضَرورة تَرشيد هذه الأوقات، فيما يعودُ على الشّخص بالفائدة، سواءً في دينه أو دنياه.

ولا شك أنّ هذه الوسائل تستنزفُ مِنْ عُمرنا ساعات طويلة يومياً، فالأولى اسْتخدامها في أشياءَ مُفيدة، خاصّة ونحنُ في شهر الصّيام، بالإكثار مِنَ العبادات التي تُقرّبنا إلى الله تعالى، وعلى المُسْلمين الاقتداء بالنّبي صلى الله عليه وسلم، والتأسي به في صَومه وسائر عباداته، وضرورة المُحافظة على الجَدول اليومي، والأهداف التي يسعى المُسلم لتحقيقها خلال رمضان.

فالقرآنُ الكريم خاصّة في شَهْر رمضان، يجبُ أنْ يقدّم على سائر الشّواغل، فقد كان السلفُ يتفرّغُون للقُرآن الكريم، وكان بعضُهم يَختم أكثر مِنْ ختمة في الشّهر، فالقرآنُ العظيم أجْره عظيم، ومَنْ قرأ حَرفاً منه؛ فله به عشرُ حسنات.

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم كان أجْود الناس في رمضان، وكان أجود ما يكون في رمضان؛ حين يُدارسه جبريل القرآن، فكان أجْود بالخير مِنَ الريح المُرْسلة.

وهذا يؤكّد ضرورة الاعْتدال في التعامل مع التكنولوجيا دائماً، وأنْ يكون شهر رمضان هو بداية لترشيد يتخذه المسلم لتغيير نمط حياته، وتنظيم وقته، وأنّ هذا الوقت والعمل على استغلاله فيما يفيد، سواء بالإكثار من العبادات أو التواصل مع الأصدقاء والأقرباء بالزيارات.

السؤالُ الخامس عشر: للأبّ والأم عملٌ كبيرٌ في إشْعار صَغارهم بأهميّة الشهر الفضيل، وتعْويدهم على العبادات فيه، ونقلهم مِنْ مُسْتوى تربويّ إلى آخر في رمضان، فبماذا تَنْصحون في هذا الخُصُوص؟

الجواب:

مثل هذا السؤال مهمٌّ جداً، وديننا عظيم الاهتمام بالأوْلاد، وتربيتهم على طاعة الله تعالى، وهذا مِنَ النُّصح للرّعية التي اسْترعى الله الوالدين عليها.

والله تعالى كلَّف الوالدين بتربيّة أولادهم على العبادات، فأمَرَهم الله تعالى بتعليمهم الصلاة وهم أبناءُ سبْع سنين، وضربهم عليها وهم أبناءُ عشر، كما كان الصّحابة الكرام رضي الله عنهم يصوّمون أولادهم في صغرهم، تعويداً لهم على هذه الطاعة العظيمة، وكلّ ذلك يدل على عظيم الاهتمام بالذريّة، لتنشئتها على خيرِ ما يكون مِنَ العبادات الإسلامية، والأخْلاق والأفعال.

ففي الصلاة: قَال رسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهُمْ عليها وهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في الْمَضَاجِعِ". رواه أبو داود (495) وصححه الألباني.

وفي الصيام: ما جاء عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ رضي الله عنها قالتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلى قُرَى الأَنْصَارِ التي حَوْلَ المَدِينَةِ: مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِماً فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، ومَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ"، فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهم إنْ شَاءَ اللَّهُ، ونَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَنَجْعَلُ

لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذا بَكَى أَحَدُهُمْ علَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ. رواه البخاري (1960) ومسلم (1136).

والسنّ الذي يبدأ الوالدان بتعليم أولادهما الصيام فيه هو سنّ الإطاقة للصيام، وهو يختلف باختلاف بُنية الولد وقوته، وقد حدَّه بعض العلماء بسنّ السابعة.

وبخُصُوص وسائل تعويد الصّبيان على الصيام: فيكون في أمور، ذكرها العلماء والدُّعاة، منْها:

1- التحدّثُ معهم بفضَائل الصّيام، وأنّه سببٌ مُهمّ منْ أسبابِ دُخُول الجنّة، وأنّ في الجنّة باباً يُسمّى: "الرّيّان"، يَدْخلُ منه الصّائمون.

2- التعويدُ المُسْبق على الصّيام، كصيام بضْعِ أيامٍ منْ شهر شَعبان؛ حتّى لا يفجؤهم الصّوم في رمضان.

3- صيامُ بعضِ النّهار، وتُزادُ المُدّة شيئاً فشيئاً.

4- تأخير السُّحُور إلى آخرِ الليل، ففي ذلك إعانةً لهم على صيام النّهار.

5- تشْجيعهم على الصّيام ببذلِ جوائز تُدْفع لهم، أو صُنع ما تَشْتهيه نفوسُهم مِنَ الأطْعمة والحلويّات، والفواكه، والعَصائر بعد الإفطار.

6- الثّناءُ عليهم أمام الأسْرة عند الإفْطار، وعند السُّحُور، فمِنْ شأن ذلك؛ أنْ يرفع معنوياتهم، ويُحبّبهم بالصيام.

7- بَثّ رُوح التّنافس بينهم لمَن عنده أكثر منْ طِفل، مع ضَرورة عدم تأنيب المُتخلّف.

8- إلْهاء مَنْ يَجوع منْهم بالنّوم، أو بألعابٍ مُباحة ليس فيها بذل جهد، كما كان الصحابة الكرام يفعلون مع صبيانهم، وهناك برامج أطْفال مُناسبة، وأفلام كرتونية محافظة، يُمكن إشغالهم بها.

9- يُفضَّل أنْ يأخذَ الأبُ ابنه – وخاصّة بعد العصر – للمَسْجد لشهود الصلاة، وحُضُور الدُّروس، والبَقاء في المَسجد لقراءة القرآن، وذكر الله تعالى.

وننبّه إلى أنّه إذا بلغ الجهد من الطفل مبلغه ألا يصرَّ عليه إكمال الصّوم؛ حتى لا يتسبب ذلك في بغضه للعبادة، أو يتسبب له في الكذب، أو في مضاعفات مرضية، وهو ليس من المكلفين، فينبغي التنبه لهذا، وعدم التّشدد في أمره بالصّيام.

السؤال السادس عشر: هل هناك تَراجعاً في حالة التّدين في رمضان، أو العبادة في رَمَضان، عن ذي قبل في المُجْتمعات الإسْلامية؟

الجواب:

الدّين هو أهمُّ ما يُميّز هويّة الشُّعوب العربيّة خُصُوصاً، والإسْلامية عُمُوماً، وإذا ظَهر ارتفاع في التديّن أحْياناً، أو تراجع أحياناً، فهو بحسبِ ما يمرّ به كلُّ بلدٍ وكلّ مُجْتمع، مِنْ ظُروفٍ وأحْوالٍ وفتن، وهي تَزدادُ أحْياناً، وتقلُّ أحْياناً أُخرى.

ونحنُ نذكّر أنفُسَنا والمسلمين جميعاً: أنّه بالتراجع عن التديّن؛ يُمْكن أنْ نفقدَ كعربٍ ومُسْلمين حقيقتنا وذاتنا، وعقيدتنا وأخْلاقنا وسِماتنا، وما يُميّزنا عن غيرنا، فنكون بلا مَرجعيّة، ولا هُويّة خاصة بنا، ونذوب في هويّات الآخرين؟ ونَفْقد اسْتقلاليتنا، ونكون تابعينَ لغَيرنا، وهذا مِنْ علاماتِ الضّياع، والضَّعْف والانْهيار.

ولا شكّ في تَعرّضِ مفْهُوم "التّديّن" إلى تَشْويهٍ حقيقي، بأسبابٍ كثيرة، في كثيرٍ مِنْ المُجْتمعات، وصارَ مُرَادفاً للتّشدّد في التّعامل، وعَدم قَبُول الآخرين، والاسْتِعلاء عليهم، والتَّشدّد في العِبادات، وعدم التّهاون في المُعاملات، بل صار يُقْرن بالجَمَاعات الإرهابيّة التي تكاثرت، واقْتُرفتْ أبْشَعُ الجَرائم على مَرْأى ومَسْمع مِنَ العالم.

ونحن نقولُ ونعيد: بأنّ هؤلاء مُجْرمُون وليسُوا مُتديّنين، ويَجبُ توضيح الحَقِيقة في هذا المَوضُوع، وبيان الشَّريعة السّمحة، وأنّها تقومُ على الرّحمة والحِكْمة، والعَدْل والإحْسان، كما نصّت عليه نُصُوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشّريفة.

وهذا واجبُ الدُّعاة والعُلَماء، كما سبق في الكلام في الدَّعْوة إلى الله تعالى.

ومظاهر ضعف الإيمان كثيرة ومتنوعة.. فمنْها:

(1) الوقُوع في المَعَاصي وارْتكاب المُحرّمات: وذلك أنّ المُؤمنُ قويّ الإيمان؛ يخافُ الله تبارك وتعالى، ويُراقبه في السرّ والعَلَن، فإذا وَقَع في معصيةٍ كبيرة أو ذَنْبٍ عظيم،

دلّ هذا على ضَعف الإيمان؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: "لا يَزْني الزّاني حين يَزْني وهو مُؤمن، ولا يَسْرقُ السّارقُ حين يَسْرقُ وهو مُؤْمن". متفق عليه.

وإذا كان الوقوع، أو كثرة الوقوع في المَعاصي؛ منْ مظاهر ضَعْف الإيمان، فإنّ المُجَاهرة بها أعظمُ جُرْماً، وأفْدحُ أثراً، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كلُّ أمّتي مُعَافى إلا المُجاهرين". رواه البخاري.

وفسّر المُجَاهر بأنّه: الذي يَفْضحُ نفسه في المَجَالس، ويكشف سِتْر الله عنه بما عمل منْ معاصٍ في اللّيل.

(2) ومنْها: عدمُ المُحافظة على الطّاعات، والتكاسل عن أدائها، وعدم الاكتراثِ بمواسم الخير، ومَواطن البَركة، كشَهر رمَضان، ويوم الجُمعة وغيره.

(3) ومنْها: الشُّعور بقسْوة القلب، وذلك أنّ القلبَ القاسي لا تؤثر فيه المَوعظة، مهْما عَظُمت!

(4) عدمُ الخُشُوع في العبادات، فيشْرد الذّهْن في الصّلاة وغيرها، لتعلّقه بالدُّنيا وأشْغالها، وقلة التدّبر للآياتِ والأدْعية، لانْصراف قلبه عنها، فلو دعا بدعاءٍ؛ فإنّه لا يتفكّر في معناه، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يَقْبل اللهُ دُعاءً منْ قلبٍ غافلٍ لاهٍ". الترمذي.

(5) ضَيقُ الصّدْر وقلة انْشِراحه، فيُصبحُ المَرءُ سريع التّضجر والتأفّف، وتذهب سَماحة نفسه.

(6) عدمُ التأثر بآياتِ القرآن، لا بوَعده ولا بوعيده، ولا بأمْره ولا نَهيه، ولا بوَصْفه للقيامة، فضَعيفُ الإيمان يملّ منْ سَماع القرآن، ولا يُطيق مُواصلة قراءته، وكلّما فتح المُصْحف أراد أنْ يَغلقه! وقد يقضي ساعات طويلة في تَوافه الأمُور!

(7) وكذا الغَفلة عن ذِكْر الله تعالى، وقلّة ذِكْره، في الصّباح والمَساء.

(8) عدمُ الغَضب إذا انْتُهكتْ مَحارم الله، فلا يَأمر بمعروفٍ ولا يَنْهى عن مُنْكر، ولا يتمعّر وجْهه قطّ في الله!

(9) التعلّق بالدُّنيا ومَظَاهرها، وحُبّ المَظاهر، والرّغبة في العُلو والظُّهور، مع عدم وجُود مؤهلات ذلك منْ أسبابٍ دينية أو دنيوية.

*** أمّا أسْبابُ ضَعف الإيمان فهي كثيرة، فمنْها:**

1- الابْتعادُ عن الأجْواء الإيمانيّة فتراتٍ طويلة، كالمَساجد وحَلقات العِلم وغيرها.

2- الابتعادُ عن الصُّحْبة الصّالحة، فالمُؤمنُ قليلٌ بنفسِه؛ كثيرٌ بإخْوانه، يقول الحَسن البَصْري: "إخْوانُنا أغْلى عندنا منْ أهْلينا، فأهْلُونا يُذكّروننا بالدُّنيا، وإخْواننا يُذكّروننا بالآخرة".

3- الابتعادُ عنْ طَلَب العِلْم الشّرْعي، وعدمِ مُطَالعة القُرآن وتفْسِيره، وكتُب الحَديث والمَواعظ والرّقائق وغيرها.

4- وجُود الإنْسَان في وسطٍ يَعجُّ بالمَعَاصي والآثام، ولا يُذكّرُ بالله والدار الآخرة.

5- الانشغالُ الزّائد بالدّنيا، بالمال والزّوجة والأولاد، قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ).

6- طولُ الأمَل في الحياة الدنيا، فقد قال تعالى عن الكفّار: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

وأسبابُ ضَعفِ الإيمان كثيرة، هذه أهمّها.

السؤالُ السّابع عشر: ما هي وسَائلُ الثّباتِ على الطّاعة بعد رمَضَان؟

الجواب:

يُلاحظ أَنَّ كثيراً منَ المسلمين ممّن كانوا يُحافظون على أنواعٍ كثيرةٍ مِنَ الطّاعات في رمضان، كالصّلاة جماعةً في المَساجد، والتّبْكير إليها، وقراءةِ القرآن، وقيام الليل والوِتْر، والذّكر بأنواعه، والصّدقات وغيرها، يُهْملونَ هذه الطاعات بعد انْقضاء شهر رمضان؟! ولا يَثْبتون عليها؟!

وهذا الأمرُ إنْ استَمرّ؛ له خُطُورته على إيمانِ العبد، وعلى خاتمتِه وآخرته.

فقد أمَرنا الله بالثّبات على الطّاعاتِ حتى المَمات، كما في قوله تعالى: (واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين) الحجر: 99.

وقال تعالى عن عبده ونبيّه عيسى عليه الصلاة والسلام: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) مريم: 31.

وإنّ مِنْ أعْظمِ أسبابِ الثّباتِ والاسْتقامة على الهُدَى: هو الحِرصُ على العَمل بما أمَرَ الله تعالى ورسُوله صلى الله عليه وسلم، منَ الأعمال الصّالحة، في الليل والنّهار، فقد قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا* وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا* وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا) النساء: 66-68.

وهكذا البُعدُ عن المَعاصِي، والحَذر منْ الاسْتمرار عليها.

ومنْ وسائل الثبات أيضاً: صُحبة الأخيار، وكذا حُضُور مجالس العلم والوَعظ، التي تُرقّق القلوب، وتُزكّي النُّفوس.

ومنها: الاشْتغال بالدّعوة إلى الله تعالى، والأمْر بالمَعْروف، والنّهي عن المُنْكر، وحثّ الآخرين على الاسْتقامة، وتَرغيبهم بالاشْتغال بالأعْمال الصّالحة، وتَرْهيبهم وتَنْفيرهم مِنَ الاشْتغال بالرّذائل، فهي دَعوة للنّفسِ أيضاً.

ومِنَ الوسائل التي تُساعدُ على الثّبات: كثرة النّظرِ والتأمل في نُصُوص الوحي، التي تُرهّب مِنْ عَذابِ الله، فإنّ العلم بها يقمع الأهْواء، كما يدلّ له الحديث: "لو تعلمونَ ما أعلم؛ لضَحكتم قليلاً، ولبَكيتم كثيراً، وما تلذّذتم بالنِّساء على الفُرُش، ولخَرجْتُم إلى الصّعدات تَجْأرون إلى الله". رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

وكذلك: مُلازمة الدُّعاء، كما أمَرنا اللهُ سبحانه أنْ نسأله عدّة مرات في اليومِ الواحد، أنْ يهدينا الصّراطَ المُسْتقيم، فهذا الثبات له مَوانعُ، وله عوامل، إنْ تجنّب الإنْسان موانعه، وأخذَ بعوامله؛ ثبتَ على الطّاعة بإذن الله.

وفي دُعاء القُرآن: (ربّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتنا) آل عمران: 8.

وفي الدُّعاء المَأثور: "اللهُمّ يا مُقلبَ القُلُوب، ثبّت قلبي على دينك" متفق عليه.

وفي الدّعاء: "اللهمّ اقْسِمْ لنا مِنْ خَشيتك؛ ما تَحُولُ به بَيْننا وبينَ مَعْصيتك..".

ومنه: "اللهُمّ إنّي أعُوذُ بك مِنْ زَوال نِعْمتك...". وغيرها

السؤال الثامن عشر: هل الأمرُ بتدبُّر القُرآن خاصّ بالعلماء، أو بالمُتخصِّصين أو بطلَّاب العِلْم المُشْتغلين بالقُرآن وعُلُومه، أم أنّ دائرته أوْسَع مِنْ ذلك؟

الجواب:

فالقرآنُ العظيم هو كلامُ اللهِ العليمِ الخَبيرِ، الذي لا يَأتيه الباطل مِنْ بين يديه، ولا مِن خَلْفه، (تنزيلٌ من حكيمٍ حميد) فصلت:42.

نَزلَ هداية ورحمةً لجميع العالمين، وهُدى للمُتّقين، ولهذا حثّنا اللهُ سبحانَهُ على قراءته وتدبره، فقال سبحانه: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) ص: 29.

ففي قراءة القرآنِ؛ وتدبُّرهِ وفهمه؛ والعملِ بِهِ؛ هدايةٌ وصلاحٌ؛ وخيرٌ وسعادة؛ وشفاءٌ للفردِ وللمجتمع؛ منْ جميعِ أمْرَاضه الحِسيّة والمَعنوية، وتلبيةٌ لحاجاتِهِ الدنيوية والأخْرويّة، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ويُبشّر المؤمنينَ الذين يعْملون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً) الإسراء: 9.

وقال سبحانه: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) الإسراء:82.

وتدبّرُ القرآن؛ هو مفتاحٌ للعُلُوم والمعارف كلّها، وبه يَزداد الإيمانُ في القلْب؛ وكلما ازدادَ العَبدُ تفكراً وتأملاً فيه؛ ازدادَ عِلْماً وعَمَلاً وبصيرة.

قال الحسن رحمه الله: " نَزلَ القُرآنُ ليُتدّبر، ويُعْمل به؛ فاتّخذُوا تلاوته عَملاً".

لكن لا بدّ لمَن أرادَ تدبّر القُرآن الكريم:

- **فهْمَه أولاً**، والنّظرُ في معناه، والوقُوف على معاني كلمَاته، وما تَدلّ عليه الآيات، منْ كلامِ أهلِ العِلْم والإيمان، وقراءة ما كتَبُوا في تفسيرِ القُرآن الكريم، فلا يأتي التدّبر دُون فَهمِ المعاني؟! ومعرفة الألْفاظ العربيّة ومدلولاتها؟!

فهذا ممَّا لا يُخالف فيه أحدٌ مِنْ أهل العلم؟! لا قديماً ولا حديثاً؛ وغير هذا السبيل خبطُ عَشْواء؟ وقولٌ على الله تعالى بغير عِلم؟ وهو مُحرّمٌ بالنّص؛ قال تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة: 168-169.

وقال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النحل: 116- 117.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاويه: "وتدبّرُ الكلامِ بدُون فهم مَعانيه، لا يُمْكن؟!". "مجموع الفتاوى" (13/ 331-332).

فالواجبُ إذَن: على مَنْ أرادَ فَهم كتاب الله تعالى، الرّجوع إلى كتُب التفسير، التي جَمَعت كلام السّلف مِنْ أهل الفقه والفهم في كتاب الله، والمَعرفة بمعاني ألفاظ الكلمات العربية، ومُفْردات اللغة؛ ويبدأ بالمختصر منْها، قبل المطوّل، فالمُخْتصر: ككتب غريبِ القرآن، لابن قتيبة والهروي وغيرهما، وكلمات القُرآن للسعدي، والهُدَى والبيان في كلماتِ القرآن، لكاتبه.

والمتوسط كتَفْسير السّعدي، وأيسر التفاسير للجَزائري.

والمُطوّل كتفسير الطَّبري والبَغَوي والسَّمعاني وابن كثير وغيرها.

والتفسير المختصر يُبيّن معاني القرآن الكريم، بعِبارةٍ وجِيزة، وألفاظٍ قليلة.

إذن: مِنَ الخَطأ الواضح، والغلط البيّن، ومنَ الانحراف عن منْهجِ السّلف السّابقين، وطَريق الأئمّة المَهْديين.

ويعدُّ أيضاً مِنَ العَبَث وتضييع الجُهُود والزّمان؛ الدُّخُول إلى هذا الباب مِنَ العلم الشريف؛ بغير عِلمٍ ولا فَهم للكتاب العزيز؟! ونُؤسّس للبناء فيه مِنْ جَديد؟! والبحث عن كيفيةٍ جَديدة؛ ومنْهجٍ مُحْدَث لتدبّر للآيات؟!

ثانيا- دراسةُ سِيرة الرسُول صلى الله عليه وسلم العَطِرة:

فدراسة سيرة الرسُول صلى الله عليه وسلم، ومَعْرفة حياتِه وأحْواله، وأخْلاقه وشَمَائله، وجهاده وغَزواته، وعباداته ومعاملاته، والإلْمام بأقواله وأفْعاله؛ ممّا يُعين على فَهْم القرآن وتدبره، وذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد فسَّر القرآن بقوله، وأقامَه

بعمله، وبيّنه بخُلُقه صلى الله عليه وسلم، كما أمره الله تعالى، فقال سبحانه: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون) النحل: 44.

فمعرفةُ السُّنن النّبويّة القوليّة والعَمليّة، التي بيَّن الرسُولُ صلى الله عليه وسلم بها معاني الكتابَ العزيز، يُعين بلا شكٍّ على فهْم الكتاب وتدبّره، فإنَّ القُرآنَ قد جَعلَ اللهُ بيانه لرسُوله صلى الله عليه وسلم؛ كما سبق في قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) النحل: 44.

فالطّهارة، والصّلاة، والزكاة، والصّوم، والحَجّ والعمرة، وسائر العبادات المأمور بها في القرآن، لا يُمْكن معرفة أحْكامها وحُدودها، وشُروطها وأرْكانها، ومواقيتها الزّمانية والمكانية، وغير ذلك، إلا ببيانِ الرسول صلى الله عليه وسلم لها، والرجوع إلى سُنته.

*** وأيضا:** فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المِثال الكامل للأمّة الإسْلاميّة، المثال الذي يُحبُّه اللهُ تعالى، ويُريدُ مِنْ كلِّ مُؤْمنٍ ومُؤْمنةٍ أنْ يكونَ مُقْتدياً به، مُتّبعاً له، كما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب: 21.

ثالثاً: مَعرفةُ أسْبابِ النّزول:

فمَعرفةُ أسْباب النُّزُول ممّا يعين على فَهم القُرآن، ثمّ تَدبّره، وذلك أنّ القُرْآن نَزَلَ مُنجَّماً بحَسْبِ الوَقائع والأحْداث، في ثَلاثٍ وعشرين سَنة، كما هو مَعلوم.

ويعدُّ علم أسْباب النُّزُول مِنْ عُلُوم القُرآن المُهمّة، التي لا يُمكنُ الاسْتغناء عنها في تفسير كلام الله جلّ في عُلاه، وذاك لأنّ العلمَ بالسبب؛ يُورثُ العِلْم بالمُسبّب، كما قال شيخُ الإسْلام رحمه الله تعالى في كتابه: "مُقدّمة في أصُول التّفْسير".

وهو مِنَ الشُّروط المَفْروضَة، والعُلُوم المَطْلوبة، لمن رام تفسير القرآن، كما بيَّنه غيرُ واحدٍ مِنَ الأعْلام، كالعَلامة الزركشي في "البُرْهان"، والحافظ السُّيوطي في "الإتْقان".

ويقول العلامة أبو الحَسن الواحدي كما نقل عنه السُّيوطي في "الإتقان": "لا يُمكنُ تفسير الآية، دُونَ الوُقُوف على قصتّها، وبيان نُزُولها".

وقال الحافظ ابن دقيق العيد: "بيان سبب النُّزُول، طريقٌ قويٌ في فَهْم مَعاني القرآن". الإتقان (1/ 88).

ختامُ الحوار

سُبحان ربّك ربّ العِزَّة عمّا يَصفُون، وسَلامٌ على المُرسلين، والحَمدُ لله ربّ العَالمين.